

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية في العصر العباسي

د/هدى محمد سعيد سندي

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة أم القرى

أهداف الدراسة:

يمكن أن نعرض لأهداف الدراسة الحالية في النقاط التالية:

- 1- تحالف الصليبيين الفرنجة والإمبراطورية المغولية في القرن الثالث عشر بعدة محاولات لعمل تحالف مسيحي مغولي ضد الخلافة الإسلامية.
- 2- التغيير في المواقف الأوروبية في منتصف ستينيات القرن التاسع عشر، من تصور المغول كأعداء يجب الخوف منهم، إلى حلفاء محتملين ضد المسلمين.
- 3- معرفة العلاقة بين المغول والمسيحيين أو الصليبيين وهل كان الارتباط بينهما وثيقاً للاتفاق حول صراع عسكري ضد قوى أخرى أم لا.
- 4- معرفة هل كان لتحالف المغول أو المسيحيين أو ما يطلق عليهم أحياناً الصليبيين دور على الدولة الإسلامية في العصر العباسي وخاصة في سقوطها وكم كانت كمية هذا التأثير.

أهمية الدراسة:

- 1- إن تتبع التاريخ الإسلامي في عصوره المختلفة يمثل خطوة هامة للتعرف على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله.
- 2- إن معرفة ملامح الدولة الإسلامية في العصر العباسي يوضح أسباب انحلالها وضعفها وأهم نقاط القوة بها لنستفيد منها في البناء للمستقبل وتتلافى تلك الأخطاء.
- 3- أن فهم العلاقة بين المغول والمسيحيين أو ما يعرف بالصليبيين يوضح دورهم في التكالب على الدول الإسلامية في بعض العصور ومنها العصر العباسي.

4- إن هذه الدراسة هامة لتوضيح الصورة الحقيقية للمسلمين في العالم وأن ما وقع فيه بعض السياسيين في العصور الإسلامية ليس بسبب سوء أخلاقهم وإنما نقص خبرة وفهم.

5- توصيل الصورة الحقيقية للعالم والدول الغربية عن التاريخ الإسلامي وأن الإسلام دين الحرية والعدل والمساواة والحضارة.

منهج الدراسة:

تنتهج الدراسة الحالية المنهج الوصفي التاريخي حيث نصف ونعرض لواقع الدولة الإسلامية وما نتج من التقارب المسيحي المغولي في عهد الدولة العباسية، والمحاولات الأخيرة لنتيجة هذه التقارب.

خطة الدراسة:

شملت خطة الدراسة على عدة مباحث وهي:

- المبحث الأول: التقارب المسيحي المغولي في عهد الدولة العباسية.
- المبحث الثاني: التحالف المسيحي مع مغول فارس (الدولة الإلخانية) وسقوط بغداد.
- المبحث الثالث: المحاولات الأخيرة للتحالف المغولي المسيحي.

المقدمة:

قام العديد من القادة من الصليبيين الفرنجة والإمبراطورية المغولية في القرن الثالث عشر بمحاولات عدة لعمل تحالف مسيحي مغولي ضد الخلافة الإسلامية والتي كانت تعتبر عدوهم المشترك في ذلك الوقت، وحتى وقتنا هذا، ربما كان مثل هذا التحالف يبدو خياراً جلياً بالنسبة لهم خاصة وأن المغول بالفعل كانوا متعاطفين مع المسيحيين نظراً لوجود العديد من المسيحيين النسطوريين المؤثرين في البلاط المغولي.

وقد بدأ الاتصال بين الأوروبيين والمغول حوالي عام 618هـ - 1220م، مع رسائل عرضية من البابوية والملوك الأوروبيين إلى قادة المغول مثل الخان العظيم، وبعد ذلك إلى الإلخان في بلاد فارس التي احتلها المغول. وتميل الاتصالات إلى اتباع نمط متكرر: طلب الأوروبيون من المغول التحول إلى المسيحية الغربية، بينما استجاب المغول

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

بمطالب الخضوع والإشادة. كان المغول قد غزوا بالفعل العديد من الدول المسيحية والإسلامية في تقدمهم عبر آسيا.

بدأت المواقف الأوروبية تتغير في منتصف ستينيات القرن التاسع عشر، من تصور المغول كأعداء يجب الخوف منهم، إلى حلفاء محتملين ضد المسلمين. سعى المغول للاستفادة من ذلك، ووعدوا الأوروبيين بإعادة احتلال القدس مقابل التعاون. استمرت محاولات ترسيخ التحالف من خلال المفاوضات مع العديد من قادة المغول إيلخانات في بلاد فارس، من مؤسسها هولاكو من خلال أحفاده أباقة وأرغون وغازان وأولجيتو، ولكن دون نجاح.

وحيث أن التحالف بين المغول والمسيحيين نجح في تغيير ميزان القوى في تاريخ الخلافة العباسية لا سيما بعد التقارب المسيحي المغولي الذي توطد وازداد بعيد المفاتحات البابوية التي انطلقت سنة 1245م، التي أثر عليها سقوط بغداد بشكل مباشر سنة 1258م على يد القائد المغولي هولاكو. ومنذ ذلك الحين تراجعت الدولية العباسية حتى سقطت عام 1517م. وعليه، يناقش البحث الحالي أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية في العصر العباسي ويناقش ما تقدم به المؤرخون الحديثون.

المبحث الأول

التقارب المسيحي المغولي في عهد الدولة العباسية

تشكلت لدى المسيحيين في أوروبا معتقدات وتوقعات منذ فترة طويلة بأن حليفاً مسيحياً كبيراً سيأتي من الشرق، حيث انتشرت هذه الشائعات في وقت مبكر من الحملة الصليبية الأولى (489هـ - 492هـ / 1096-1099م)، وعادة ما زادت شعبيتها بعد أن خسر الصليبيون معركتهم. نشأت أسطورة حول شخصية تُعرف باسم Prester John ، الذي عاش في الهند البعيدة أو آسيا الوسطى أو ربما حتى إثيوبيا. طورت هذه الأسطورة نظرة خاصة لدى الأوروبيين، وتم الترحيب ببعض الأفراد الذين قدموا من الشرق بتوقعات بأنهم قد يكونوا قوات مرسله من قبل القس جون الذي طال انتظاره. في عام 606هـ - 1210م، وصلت الأخبار إلى الغرب عن معارك المغول التي قادها كوشلوغ (المتوفي عام 615هـ - 1218م)، زعيم قبيلة النيمان ذات الأغلبية المسيحية. كانت قوات كوشلوغ تقاتل الإمبراطورية الخوارزمية القوية، التي كان زعيمها المسلم محمد الثاني من خوارزم. انتشرت شائعات في أوروبا بأن كوشلوغ كان الأسطوري القس يوحنا، مرة أخرى قاتل المسلمين في الشرق⁽¹⁾.

أثناء الحملة الصليبية الخامسة (615هـ - 618هـ / 1218-1221م)، حيث كان المسيحيون يفتشون في فرض حصار على مدينة دمياط المصرية، تم دمج أسطورة القس يوحنا مع واقع إمبراطورية جنكيز خان الآخذة في التوسع بسرعة⁽²⁾. بدأ المغول في غزو العالم الإسلامي الشرقي وبلاد ما وراء النهر وبلاد فارس في 1219-1221م. انتشرت شائعات بين الصليبيين أن "ملكاً مسيحياً لجزر الإندي"، وهو الملك داود الذي كان إما القس يوحنا أو أحد نسله، كان يهاجم المسلمين في الشرق وكان في طريقه لمساعدة المسيحيين في

(1) Waghmar, B. (2000). Review of Richard Foltz, Religions of the Silk Road: Overland Trade and Cultural Exchange from Antiquity to the Fifteenth Century (London and New York, 1999). *CIAA Newsletter*, (11), 37-39.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، دار التراث العربي، بيروت، 1996م.

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

حملاتهم الصليبية⁽¹⁾. وفي رسالة بتاريخ 20 يونيو 1221، ذكر البابا هونوريوس الثالث "القوات القادمة من الشرق الأقصى لإنقاذ الأرض المقدسة".

بعد وفاة جنكيز خان عام 1227م، تم تقسيم إمبراطوريته من قبل ذريته إلى أربعة أقسام أو خانات حيث قام بينهم حرب أهلية. امتدت خانات كيبنتشاك الشمالية الغربية، المعروفة باسم الحشد الذهبي، نحو أوروبا، بشكل أساسي عبر المجر وبولندا، بينما عارض قادتها في نفس الوقت حكم أبناء عمومته في العاصمة المغولية. كان القسم الجنوبي الغربي، المعروف باسم Ilkhanate، تحت قيادة Hulagu حفيد جنكيز خان. واصل دعم أخيه، الخان العظيم، وبالتالي كان في حالة حرب مع القبيلة الذهبية، بينما استمر في نفس الوقت في التقدم نحو بلاد فارس والأراضي المقدسة.

المفاتيح البابوية (641هـ - 644هـ / 1245-1248م)

خلال موجة الغزوات المغولية، كان الصليبيون ما يزالون قابعين في المشرق العربي وكانت البابوية متخوفة من المد المغولي باتجاه الدويلات الصليبية، حيث وصل المغول إلى المجر وبولونيا، حيث كان الغرب الأوربي يعاني من التفكك وعاجز عن توحيد قواه العسكرية لمواجهة الخطر المقبل عليهم، لذلك سعى البابا أنوسنت الرابع إلى الاتصال بقيادة المغول في سبيل التحالف معهم واتقاء شرهم والتقرب منهم لحماية أوروبا من جهة وحرب المسلمين من جهة أخرى. ويبدو أن أوروبا كانت مستعدة عن التفاوض عن وحشية المغول ضد النصارى في روسيا وبولونيا مقابل تحطيم القوة، حيث فكر القادة المسيحيون بتحالفات ممكنة مع الحكام المغول الذين كان موطنهم يقع خلف المواقع الإسلامية الحصينة، وفي عملية إرسال المبشرين إلى المغول كان الباباوات مثلهم مثل الحكام المسيحيين واقعين تحت تأثير الإشاعات الدائرة حول وجود حاكم "مسيحي" في الطرف الآخر من العالم، يدعى "الأب يوحنا" وقد ساد شعور بأن هذا الحاكم المسيحي ربما كان مستعداً لم يد العون لأولئك الذين يدافعون عن المسيحية في مواجهة الإسلام.⁽²⁾

(1) Knobler, Adam (Fall 1996). "Pseudo-Conversions and Patchwork Pedigrees: The Christianization of Muslim Princes and the Diplomacy of Holy War". *Journal of World History*. Honolulu, Hawaii, USA: University of Hawaii Press. 7 (2): 181–197.

(2) عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي، الحملات الصليبية والحملات المغولية أهداف مسيحية وغايات تنصيرية، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، العدد 90، المجلد 1، جامعة المنيا، 2020م، ص 573.

وقد حدثت الاتصالات الرسمية الأولى بين أوروبا الغربية المسيحية والإمبراطورية المغولية بين البابا إنوسنت الرابع (1243-1254م) والخانات العظمى، عبر الرسائل والمبعوثين الذين تم إرسالهم براً والذين استغرقوا أحياناً سنوات للوصول إلى وجهتهم. وبدأت الاتصالات ما كان من المفترض ان يصبح نمطاً منتظماً في الاتصالات الأوروبية المغولية، والتي كان سيطلب فيها الأوروبيون من المغول التحول إلى المسيحية، وافترض ان المغول سيستجيبون للدعوة⁽¹⁾.

انتهى الغزو المغولي لأوروبا في عام 1242م، ويرجع ذلك جزئياً إلى وفاة خان أوجيدي العظيم، خليفة جنكيز خان. عندما مات خان العظيم، تم استدعاء المغول من جميع أنحاء الإمبراطورية إلى العاصمة لتحديد من يجب أن يكون الخان العظيم التالي. في غضون ذلك، أدت مسيرة المغول التي لا هودة فيها باتجاه الغرب إلى نزوح الخوارزميين الأتراك، الذين تحركوا هم أنفسهم غرباً، وتحالفوا في النهاية مع المسلمين الأيوبيين في مصر⁽²⁾. وعلى طول الطريق، استولى الأتراك على القدس من المسيحيين في عام 1244م. وبعد الخسارة اللاحقة في معركة لافوربي، وبدأ الملوك المسيحيون في الاستعداد لحملة صليبية جديدة (الحملة الصليبية السابعة)، أعلنها البابا إنوسنت الرابع في يونيو 1245م في أول مجلس لليون⁽³⁾. تسببت خسارة القدس في أن ينظر بعض الأوروبيين إلى المغول باعتبارهم حلفاء محتملين للمسيحية، شريطة أن يتحول المغول إلى المسيحية الغربية. في مارس 1245م، أصدر البابا إنوسنت الرابع عدة مراسيم بابوية، أرسل بعضها مع مبعوث، الفرنسييسكان جون بلانو كاربيني، إلى "إمبراطور التتار". في رسالة تسمى "Cum non solum"، أعرب البابا إنوسنت عن رغبته في السلام، وطلب من الحاكم المغولي أن يصبح مسيحياً وأن يتوقف عن قتل المسيحيين⁽⁴⁾. ومع ذلك، فإن قائد المغول الجديد خان

(1) Richard, J. (1969). The Mongols and the Franks. *Journal of Asian history*, 3(1), 45-57.

(2) Tyerman, Christopher (2006). *God's War: A New History of the Crusades*. Cambridge, Massachusetts, USA: Harvard University Press.

(3) Riley-Smith, Jonathan (2005). *Crusades: A History* (2nd ed.). London, UK; New York, New York, USA: Continuum International Publishing Group.

(4) Jackson, Peter (2005). *The Mongols and the West: 1221-1410*. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman.

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

Güyük، الذي تم تصيبيه في Karakorum في عام 1246م، رد فقط بطلب لاستسلام البابا، وزيارة من حكام الغرب تكريماً لسلطة المغول⁽¹⁾.

بعثة ثانية أرسلها البابا إنوسنت في عام 1245م بقيادة الدومينيكان أسلين من لومبارديا⁽²⁾، الذي التقى مع القائد المغولي بايجو بالقرب من بحر قزوين في عام 1247م. بايجو، الذي كان لديه خطط للاستيلاء على بغداد، رحب بإمكانية التحالف. وأرسل رسالة إلى روما عبر مبعوثيه Aibeg و Serkis. ثم عادوا بعد ذلك بعام برسالة البابا إنوسنت، فيام أجنوسيري فيريتايس، والتي ناشد فيها المغول "الكف عن أخطارهم"⁽³⁾.

التابعين المسيحيين

مع استمرار تحرك المغول نحو الأرض المقدسة، سقطت مدينة بعد مدينة في يد المغول. كان النمط المغولي النموذجي هو إعطاء المنطقة فرصة واحدة للاستسلام. إذا تم قبول الاستسلام، يقوم المغول باستيعاب السكان والمحاربين في جيشهم المغولي، والذي سيستخدمونه بعد ذلك لتوسيع الإمبراطورية. إذا لم تستسلم المدينة، يستولي عليها المغول بالقوة ويتم الاستيلاء على المدينة وقتل كل من يجده⁽⁴⁾. في مواجهة خيار الخضوع أو القتال مع قبيلة المغول القريبة، اختارت العديد من البلاد الاستسلام بما فيها بعض المدن المسيحية.

بدأ شورماجان قائد المغول في سنة 634 هـ - 1236م في الالتفاف حول بحر قزوين من ناحية الغرب لينطلق شمالاً لاستكمال غزوه لبقية أجزاء القارة الأوربية، وبسرعة هاجم جورجيا حيث استعمل المغول أفضع ما عرف من أساليب البطش والهمجية، ولم تستطع ملكة البلاد "روسودان" الصمود أمام قوة وشراسة الهجمات المغولية ولم تجد بداً من الهرب لتسقط أقاليم البلاد في يد المغول بما فيها عاصمة البلاد "تغليس" وتحولت جورجيا

(1) Morgan, David (June 1989). "The Mongols and the Eastern Mediterranean: Latins and Greeks in the Eastern Mediterranean after 1204.

(2) Jackson, Peter (2005). The Mongols and the West: 1221–1410. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman.

(3) Sinor, Denis (1975). "The Mongols and Western Europe". In Setton, Kenneth Meyer; Hazard, Harry W. (eds.). A History of the Crusades: The Fourteenth and Fifteenth Centuries. 3. Madison, Wisconsin, USA: University of Wisconsin Press. p. 513.

(4) Hindley, Geoffrey (2004). The Crusades: Islam and Christianity in the Struggle for World Supremacy. New York, New York, USA: Carroll & Graf Publishers.

إلى دولة تابعة والتي أصبحت فيما بعد حليفًا منتظمًا في الفتوحات العسكرية المغولية. قدم هيثوم الأول من قيليقيا أرمينيا عام 1247م، وعلى مدى السنوات التالية شجع الملوك الآخرين على الدخول في تحالف مسيحي مغولي. أرسل شقيقه سيمباد إلى البلاط المغولي في كاراكوروم، وكانت رسائل سيمباد الإيجابية حول المغول مؤثرة في الدوائر الأوروبية.⁽¹⁾ كانت إمارة أنطاكية من أوائل الدول الصليبية، تأسست عام 1098م خلال الحملة الصليبية الأولى. في وقت تقدم المغول، كانت تحت حكم بوهموند السادس. تحت تأثير والد زوجته، هيثوم الأول، قدم بوهموند أيضًا أنطاكية لهولاكو في عام 1260م⁽²⁾. تمركز ممثل المغول وحامية المغول في العاصمة أنطاكية، حيث ظلوا حتى دمر المماليك الإمارة عام 1268م⁽³⁾. كما طلب المغول من بوهموند قبول استعادة بطريك الروم الأرثوذكس، أوثيموس، كطريقة لتقوية الروابط بين المغول والبيزنطيين. في مقابل هذا الولاء، منح هولاكو بوهموند جميع الأراضي الأنطاكية التي فقدتها للمسلمين عام 1243م⁽⁴⁾. ومع ذلك، بالنسبة لعلاقاته مع المغول، فقد تم طرد بوهموند أيضًا مؤقتًا من قبل البطريرك اللاتيني جاك بانتاليون، على الرغم من رفع هذا في عام 1263م.

وفي حوالي عام 1262 أو 1263م، حاول الزعيم المملوكي بيبرس الهجوم على أنطاكية، لكن الإمارة تم إنقاذها من خلال التدخل المغولي. في السنوات اللاحقة، لم يتمكن المغول من تقديم نفس القدر من الدعم. في 1264-1265م كان المغول قادرين على مهاجمة حصن البيرة الحدودي فقط. في عام 1268، اجتاح بيبرس بقية أنطاكية تمامًا، منهيًا الإمارة التي كانت تبلغ من العمر 170 عامًا⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ رجب محمود إبراهيم بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1431هـ - 2010م، ص 170 - 171.

⁽²⁾ Nersessian, Sirarpie Der (1969). "The Kingdom of Cilician Armenia". In Hazard, Harry W.; Wolff, Robert Lee (eds.). *A History of the Crusades: The Later Crusades, 1189–1311*. 2. Madison, Wisconsin, USA: University of Wisconsin Press. pp. 630–660.

⁽³⁾ Richard, Jean (1969). "The Mongols and the Franks". *Journal of Asian History*. 3 (1): 45–57.

⁽⁴⁾ Richard, Jean (1999) [published in French 1996]. *The Crusades, c. 1071–c. 1291*. trans. Birrell, Jean. Cambridge, UK: Cambridge University Press. ISBN 978-0-521-62566-1.

⁽⁵⁾ Hindley, Geoffrey (2004). *The Crusades: Islam and Christianity in the Struggle for World Supremacy*. New York, New York, USA: Carroll & Graf Publishers. ISBN 978-0-7867-1344-8.

العلاقة بين سانت لويس والمغول

كان لويس التاسع ملك فرنسا على اتصال مع المغول طوال حروبه الصليبية. خلال مغامرته الأولى إلى الإمارات الصليبية حيث التقى به في 20 ديسمبر 1248م في قبرص مبعوثان مغول ونسطوريين من الموصل يدعيان ديفيد ومارك، وقد أحضرا رسالة من القائد المغولي في بلاد فارس، إيجيدي حبث نقلت الرسالة نبذة أكثر تصالحية من مطالب المغول السابقة بالخضوع، واقترح مبعوثو الجيجيدي أن يهبط الملك لويس في مصر بينما هاجم الجيجيدي بغداد، كطريقة لمنع مسلمي مصر ومسلمي سوريا من الانضمام إلى القوات⁽¹⁾. رد لويس بإرسال المبعوث أندرو من منطقة لونجيمو في فرنسا إلى الخان الاعظم جويوك، لكن جويوك مات من الشراب قبل وصول المبعوث إلى بلاطه. أعطت أرملة جويوك أغول القيمش للمبعوث هدية ورسالة متعالية لأخذها إلى الملك لويس، وأمرته بمواصلة إرسال الجزية كل عام⁽²⁾.

حملة لويس ضد مصر لم تسر على ما يرام حيث نجح في الاستيلاء على دمياط، لكنه فقد جيشه بالكامل في معركة المنصورة وأسره المصريون. تم التفاوض على إطلاق سراحه في النهاية مقابل فدية (بعضها كان قرصاً من فرسان المعبد) واستسلام مدينة دمياط⁽³⁾. بعد سنوات قليلة، في عام 1253م، سعى إلى إيجاد حلفاء من بين الحشاشين الإسماعيليين والمغول⁽⁴⁾. عندما رأى رسالة من شقيق هيثوم، النبيل الأرمني سيمباد، والتي تحدثت جيداً عن المغول، أرسل لويس الفرنسييسكان وويليام روبروك إلى البلاط المغولي. لكن الزعيم المغولي مونك رد برسالة فقط عبر وويليام عام 1254م، يطلب فيها خضوع الملك لسلطة المغول⁽⁵⁾.

(1) Jackson, Peter (2005). The Mongols and the West: 1221–1410. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman

(2) Jackson, Peter (July 1980). "The Crisis in the Holy Land in 1260". The English Historical Review. London, UK; New York, New York, USA: Oxford University Press. 95 (376): 481–513.

(3) Vaughn, M. K., & Tyerman, C. (2007). God's War: A New History of the Crusades. Naval War College Review, 60(2), 17.

(4) Daftary, Farhad (1994). The Assassin Legends: Myths of the Isma'ilis. London, UK; New York, New York, USA.

(5) Calmard, Jean. "Encyclopædia Iranica". Costa Mesa, California, USA: Mazda Publishers.

حاول لويس شن حملة صليبية ثانية (الحملة الصليبية الثامنة) في عام 1270 كتب زعيم الخانات المغولي أباقة إلى لويس التاسع عارضًا الدعم العسكري بمجرد وصول الصليبيين إلى فلسطين، ولكن لويس ذهب بدلاً من ذلك إلى تونس ومن الواضح أنه كان ينوي غزو تونس أولاً، ثم تحريك قواته على طول الساحل للوصول إلى الإسكندرية في مصر. يشير المؤرخان الفرنسيان آلان ديمرغر وجان ريتشارد إلى أن هذه الحملة الصليبية ربما كانت لا تزال محاولة للتنسيق مع المغول، حيث ربما هاجم لويس تونس بدلاً من سوريا بعد رسالة من أباقة مفادها أنه لن يكون قادرًا على إرسال قواته إليها. 1270م، ويطلب تأجيل الحملة إلى 1271م⁽¹⁾. كان مبعوثون من الإمبراطور البيزنطي والأرمن ومغول أباقة حاضرين في تونس، لكن الأحداث أوقفت خطط الحملة الصليبية المستمرة عندما توفي لويس بسبب المرض. وحسب الأسطورة، كانت كلمته الأخيرة "القدس"⁽²⁾.

المبحث الثاني

التحالف المسيحي مع مغول فارس (الدولة الإلخانية) وما ترتب عليه

حدث الغزو المغولي للعالمين الإسلامي والعربي على مرحلتين، حيث كانت المرحلة الأولى في عهد جنكيز خان مؤسس إمبراطورية المغول والطامح للسيطرة على العالم، فسيطر على معظم أراضي الدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر وخوارزم وأجزاء من خراسان وشرق إيران. ثم المرحلة الثانية على يد حفيده هولاكو خان الذي استطاع

(1) Demurger, Alain (2006). Croisades et Croisés au Moyen Age (in French). Paris, France: Flammarion

(2) Grousset, René (1936). Histoire des Croisades III, 1188–1291 L'anarchie franque (in French). Paris, France: Perrin.

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

السيطرة على إيران ثم العراق ثم بلاد الشام،⁽¹⁾ وكان قائد المغول هولاكو خان، حفيد جنكيز خان، شامانياً معلناً، لكنه مع ذلك كان متسامحاً جداً مع المسيحية. والدته سرغقتاني بيكي، وزوجته المفضلة دقوز خاتون، والعديد من أقرب معاونيه كانوا من المسيحيين النسطوريين. كان أحد أهم جنرالاته، كتابقا، نسطورياً من قبيلة نيمان⁽²⁾.

وفي عام 1238م، رفض الملوك الأوروبيون لويس التاسع ملك فرنسا وإدوارد الأول ملك إنجلترا عرض الإمام النزازي محمد الثالث من أموت وال خليفة العباسي المستنصر لتحالف مسلم - مسيحي ضد المغول. بعد ذلك انضموا إلى المغول ضد كل المسلمين⁽³⁾، وهذه كانت نقطة الالتقاء الأقوى للتحالف المسيحي المغولي ضد المسلمين، والتي أضرت بالدولة العباسية بشكل كبير، حيث أصبح التعاون العسكري بين المغول وأتباعهم المسيحيين كبيراً في 1258-1260م. دمر جيش هولاكو، مع قوات رعاياه المسيحيين بوهيموند السادس ملك أنطاكية وهيثوم الأول من أرمينيا والجورجيين المسيحيين، اثنتين من أقوى السلالات الإسلامية في ذلك العصر: العباسيون في بغداد والأيوبيون في سوريا⁽⁴⁾.

أولاً: سقوط بغداد (659هـ - 1258م)

الخلافة العباسية، التي أسسها أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح، حفيد عم محمد عباس، عام 49، حكمت شمال شرق إفريقيا، والجزيرة العربية، والشرق الأدنى، على الرغم من أنه بحلول عام 1258م تقلص الحكم إلى جنوب ووسط العراق فقط. وكان مقر السلطة للعباسيين لما يقرب من 500م عام في مدينة بغداد، المدينة التي تعتبر جوهرة الإسلام وواحدة من أكبر وأقوى المدن في العالم، وحيث تحركت القوات المغولية بقيادة هولاكو بمهاجمة بغداد وإسقاط الخلافة العباسية، وكان على رأس الخلافة العباسية في تلك

⁰¹ كاظم أمير زادة قاسمي، الصراع المملوكي الإيلخاني على بلاد الشام 654هـ - 735هـ/ 1255 - 1335م، رسالة دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 1438هـ - 2017م، ص 53.

(2) Ryan, James D. (November 1998). "Christian Wives of Mongol Khans: Tartar Queens and Missionary Expectations in Asia". *Journal of the Royal Asiatic Society*. Cambridge, UK; New York, New York, USA: Cambridge University Press. 8 (3): 411-421.

(3) Daftary, Farhad (1992). *The Isma'ilis: Their History and Doctrines*. Cambridge University Press. pp. 418-420.

(4) Morgan, David (June 1989). "The Mongols and the Eastern Mediterranean: Latins and Greeks in the Eastern Mediterranean after 1204". *Mediterranean Historical Review*. 4 (1): 204.

الفترة الخليفة المستعصم بالله (640 - 656 هـ / 1242 - 1258م) الذي أصبح آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، وكان يأمل أن يعيد مجد الخلافة مرة أخرى، ولكنه كان رجلاً ضعيف الشخصية وجعل كل اهتمامه إشباع غرائزه، يضاف إلى ذلك الصراع المذهبي الذي دار داخل البلاط بين وزيره الشيعي مؤيد الدين بن العلقمي وبين كاتب الخليفة السني أيبك الدوادار مما جعل الخلافة العباسية تعيش أسوأ فترات حياتها أشبه بالرجل المريض الذي ينتظر أجله المحتوم⁽¹⁾.

ولكن تحت هجوم المغول، سقطت المدينة في 15 فبراير 1258م، وهي خسارة غالباً ما تُعتبر في العالم الإسلامي من أكثر الأحداث كارثية في تاريخ الإسلام ترتب عليها نهاية العصر الذهبي الإسلامي. كان المسيحيون الجورجيون أول من خرق الجدران، وكما وصف المؤرخ ستيفن رونسيمان، "كانوا شرسين بشكل خاص في تدميرها"⁽²⁾. عندما غزا هولاء المدينة، هدم المغول المباني، وأحرقوا أحياء بأكملها، وقتلوا جميع الرجال والنساء والأطفال تقريباً. ولكن بتدخل دقوز خاتون نجا السكان المسيحيون⁽³⁾.

وبالنسبة للمسيحيين الآسيويين، كان سقوط بغداد سبباً للاحتفال⁽⁴⁾ حيث اعتبر هولاء وملكته المسيحية عملاء الله ضد أعداء المسيحية⁽⁵⁾، وقورنا بالإمبراطور المسيحي المؤثر في القرن الرابع قسطنطين الكبير وإمبراطورة والدته المبجلة، سانت هيلين، أيقونة الكنيسة المسيحية. وأشاد المؤرخ الأرمني كيراكوس من غاندزاك بالزوجين الملكيين المغوليين في نصوص خاصة بالكنيسة الأرمنية، كما أشار إليهم بار هيبراوس، أسقف

¹ (د) رجب محمود إبراهيم بخيت، مرجع سابق، ص 208 - 209.

² Runciman, Steven (1987) [1954]. A History of the Crusades, Volume III: The Kingdom of Acre and the Later Crusades. Harmondsworth, UK: Penguin Books.

³ Lane, George (2006). Daily Life in the Mongol Empire. Westport, Connecticut, USA: Greenwood Press.

⁴ Demurger, Alain (2006). Croisades et Croisés au Moyen Age (in French). Paris, France: Flammarion.

⁵ Folda, Jaroslav (2005). Crusader art in the Holy Land: from the Third Crusade to the fall of Acre. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، باسم قسطنطين وهيلينا. من هولاكو أنه لا شيء يمكن مقارنته بـ "ملك الملوك" في "الحكمة والسمو والعمل الرائع"⁽¹⁾.

ثانياً: غزو بلاد الشام (662هـ - 1260م)

التحالف الذي تم بين الحكام المسيحيين في غرب آسيا من جهة وبين المغول من جهة أخرى أدى إلى اجتياح الشام ومصر فقد رأى "هيثوم" ملك أرمينية أن الفرصة سانحة للانضمام للمغول واقتناص الشام من أيدي أمراء المسلمين ثم السيطرة على بيت المقدس بعد ذلك، حيث كانت خطة الحملة على بلاد الشام قد تقرر بعد لقاء تم بين هولاكو وتابعه الأرمني "هيثوم" وكان الخان المغولي قد طلب إليه أن يسير بجيشه الأرمني إلى الرها بحجة أنه ذاهب لكي يخلص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ويردها إلى المسيحيين وجمع جيشاً كبيراً وانضم إلى هولاكو.⁽²⁾

واستمر المغول في هجومهم على ديار المسلمين وسقطت حلب وسلمت دمشق وسيطر المغول على بلاد الشام وكانوا شديدي الوطأة على المسلمين، فبادروا إلى تدمير الاستحكامات والأسوار والقلاع في البلاد التي خضعت لهم مثل حلب ودمشق وحمص وحماة وبعليك وبانياس وغيرها، وحققوا بذلك ما لم يستطع تحقيقه الصليبيون من قبل، ولقد مال المغول منذ اللحظة الأولى لغزوهم للشرق الأدنى إلى العنصر المسيحي النسطوري، وأصبح الملك الناصر مسلوب الإرادة مرعوباً ليس له رأي ووقع أخيراً في أسر هولاكو الذي قام بقتله فيما بعد عند سماعه لهزيمة المغول في عين جالوت.³

ذهبت بغداد ودمشق، وانتقل مركز القوة الإسلامية إلى المماليك المصريين في القاهرة. ومع ذلك، قبل أن يتمكن المغول من مواصلة تقدمهم نحو مصر، احتاجوا إلى الانسحاب بسبب وفاة الخان العظيم. كان هناك حاجة إلى هولاكو للعودة إلى العاصمة وأخذ الجزء الأكبر من قواته معه، تاركاً قوة صغيرة تحت قيادة كتابقة لاحتلال فلسطين أثناء

(1) Joseph, John (1983). Muslim-Christian Relations and Inter-Christian Rivalries in the Middle East: The Case of the Jacobites in an Age of Transition. Albany, New York, USA: SUNY Press.

(2) رجب محمود إبراهيم بخيت، المرجع السابق، ص 274.

(3) إيناس حسني البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2017م، ص 14.

غيابه. تم إرسال فرق الغارة المغولية جنوبًا إلى فلسطين باتجاه مصر، مع وجود حاميات مغولية صغيرة قوامها حوالي 1000 تم إنشاؤها في غزة⁽¹⁾.

كان في نتائج سقوط بلاد الشام في أيدي المغول وحلفائهم أن عم الرعب والخوف سائر بلاد المسلمين، فهرب الناس باتجاه الأراضي المصرية، وكانت القيادة الإسلامية بمصر تستقبل فلول المسلمين من العراق والشام وتجهز نفسها لمعركة فاصلة مع المغول وكان السلطان سيف الدين قطز على رأس السلطة في مصر وكان يدرك أن بقاء مصر قوية يتوقف على اجتيازه ذلك الامتحان الكبير المتمثل في الغزو المغولي للممالك الإسلامية⁽²⁾.

ثالثاً: معركة عين جالوت

على الرغم من التعاون بين المغول ورعاياهم المسيحيين في أنطاكية، كان المسيحيون الآخرون في بلاد الشام ينظرون إلى النهج المغولي بقلق. رأى جاك بانتيالون، بطريرك القدس، المغول على أنهم تهديد واضح، وكتب إلى البابا لتحذيره منهم عام 1256م. ومع ذلك، أرسل الفرنجة الدومينيكاني ديفيد آشيبي إلى محكمة هولوكو عام 1260م. وفي في صيدا، انتهب جوليان جرينير، لورد صيدا وبيوفورت، الذي وصفه معاصروه بأنه غير مسؤول وذو عقل خفيف، الفرصة لمداومة ونهب منطقة وادي البقاع في إقليم المغول. كان أحد المغول الذين قُتلوا هو ابن شقيق كتبوكا، وانتقاماً منه، داهمت كتبوكا مدينة صيدا. أضافت هذه الأحداث إلى مستوى عدم الثقة بين المغول والقوات الصليبية، التي كان مركز قوتها في تلك الفترة في مدينة عكا الساحلية⁽³⁾.

بذل فرانكس عكا قسارى جهودهم للحفاظ على موقف الحياد الحذر بين المغول والمماليك⁽⁴⁾. وعلى الرغم من تاريخهم الطويل من العداء مع المماليك، فقد أقر الفرنجة بأن

(1) إيناس حسني البهجي، مرجع سابق، ص 23.

(2) علي محمد محمد الصلابي، السلطان سيف الدين قطز، ومعركة عين جالوت، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 1430 هـ - 2009م، ص 8.

(3) Richard, Jean (1999) [published in French 1996]. The Crusades, c. 1071–c. 1291. trans. Birrell, Jean. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

(4) Morgan, David (2007). The Mongols (2nd ed.). Malden, Massachusetts, USA; Oxford, UK; Carlton, Victoria, AU: Blackwell Publishing.

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

المغول كانوا يشكلون تهديداً أكبر، وبعد مناقشة متأنية، اختاروا الدخول في هدنة سلبية مع خصومهم السابقين. سمح الفرنجة للقوات المملوكية بالتحرك شمالاً عبر الأراضي المسيحية لإشراك المغول، مقابل اتفاق يقضي بأن يشتري الفرنجة أي خيول مغولية تم أسرها بسعر منخفض⁽¹⁾. سمحت الهدنة للمماليك بالتخيم وإعادة الإمداد بالقرب من عكا، والاشتباك مع المغول في عين جالوت في 3 سبتمبر 1260م. كانت القوات المغولية قد استنفدت بالفعل بسبب انسحاب قوتهم الرئيسية، لذلك بمساعدة الفرنجة، استطاع المماليك تحقيق نصر حاسم وتاريخي على المغول. انسحب ما تبقى من جيش المغول إلى قيليقيا أرمنيا، حيث تم استقبالهم وإعادة تجهيزهم من قبل هيثوم الأول. شكلت عين جالوت نقطة تحول رئيسية في تاريخ المغول، حيث كانت أول معركة كبرى خسروها، ووضعت حداً لما بدا توسعاً لا يمكن إيقافه للإمبراطورية المغولية⁽²⁾.

الاتصالات البابوية

في ستينيات القرن الثاني عشر، حدث تغيير في النظرة الأوروبية للمغول، وأصبح يُنظر إليهم على أنهم أعداء أقل، وأكثر كحلفاء محتملين في القتال ضد المسلمين. في عام 1259م، كان البابا ألكسندر الرابع يشجع حملة صليبية جديدة ضد المغول، وكان محبطاً للغاية عندما سمع أن ملوك أرمنيا أنطاكية وقيليقية قد استسلموا للسيطرة المغولية. وضع الإسكندر قضايا الملوك على جدول أعمال مجلسه القادم، لكنه توفي في عام 1261م قبل أشهر فقط من انعقاد المجلس، وقبل أن تبدأ الحملة الصليبية الجديدة. بالنسبة للبابا الجديد، وقع الاختيار على بانتيون وهو نفسه بطريرك القدس الذي كان يحذر في وقت سابق من التهديد المغولي. أخذ اسم البابا أوربان الرابع، وحاول جمع الأموال لحملة صليبية جديدة. وفي العاشر من أبريل 1262م، أرسل الزعيم المغولي هولكو عبر يوحنا المجري رسالة جديدة إلى الملك لويس التاسع ملك فرنسا، يعرض تحالفاً مرة أخرى. أوضحت الرسالة أنه في السابق، كان المغول لديهم انطباع بأن البابا هو زعيم المسيحيين، لكنهم أدركوا الآن أن

(1) Jackson, Peter (July 1980). "The Crisis in the Holy Land in 1260". *The English Historical Review*. London, UK; New York, New York, USA: Oxford University Press. 95 (376): 481–513.

(2) Richard, Jean (1999) [published in French 1996]. *The Crusades, c. 1071–c. 1291*. trans. Birrell, Jean. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

السلطة الحقيقية تكمن في الملكية الفرنسية. ذكرت الرسالة نية هولاكو للاستيلاء على القدس لصالح البابا، وطلب من لويس إرسال أسطول ضد مصر. وعد هولاكو باستعادة القدس للمسيحيين، لكنه أيضًا أصر على سيادة المغول في سعي المغول لغزو العالم. ليس من الواضح ما إذا كان الملك لويس قد تلقى الرسالة بالفعل أم لا، ولكن في وقت ما تم إرسالها إلى البابا أوربان، الذي أجاب بطريقة مماثلة لأسلافه. في كتابه البابوي *Exultavit cor nostrum*، هنا أوربان هولاكو على تعبيره عن حسن نيته تجاه الإيمان المسيحي، وشجعه على التحول إلى المسيحية.

يجادل المؤرخون في المعنى الدقيق لأفعال أوربان. وجهة النظر السائدة، التي جسدها المؤرخ البريطاني بيتر جاكسون، ترى أن أوربان ما زال يعتبر المغول أعداء في هذا الوقت. بدأ هذا التصور يتغير بعد بضع سنوات، خلال فترة حكم البابا كليمنت الرابع (1265-1268م)، عندما كان يُنظر إلى المغول على أنهم حلفاء محتملون. ومع ذلك، يقول المؤرخ الفرنسي جان ريتشارد إن تصرف أوربان كان بمثابة نقطة تحول في العلاقات المنغولية الأوروبية منذ عام 1263م، وبعد ذلك اعتبر المغول حلفاء فعليين. ويرى ريتشارد أيضًا أنه كان ردًا على هذا التحالف المتشكل بين الفرنجة والمغول الإلخانيدي والبيزنطيين، تحالف المغول الذهبي مع المماليك المسلمين في المقابل⁽¹⁾. ومع ذلك، فإن الرأي السائد للمؤرخين هو أنه على الرغم من وجود العديد من المحاولات لتشكيل تحالف، إلا أن المحاولات باءت بالفشل.

⁽¹⁾ Richard, Jean (1999) [published in French 1996]. The Crusades, c. 1071–c. 1291. trans. Birrell, Jean. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

المبحث الثالث

المحاولات الأخيرة للتحالف المغولي المسيحي

في القرن الرابع عشر، استمر الاتصال الدبلوماسي بين الفرنجة والمغول، حتى تفككت عائلة الخان في ثلاثينيات القرن الثالث عشر، وتسببت تداعيات انشطار الموت الأسود في أوروبا في قطع الاتصال مع الشرق. استمرت بعض التحالفات الزوجية بين الحكام المسيحيين والمغول من القبيلة الذهبية، كما حدث عندما تزوج الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثاني بناته من تقطوع (سنة 1312م) وبعد ذلك من خليفته الأوزبكي (1312-1341م)⁽¹⁾.

وبعد وفاة السلطان أبي سعيد بهادر خان، أصبحت العلاقات بين الأمراء المسيحيين والإلخانات متفرقة للغاية. توفي أبي سعيد عام 1335 دون وريث ولا خليفة، وفقد الإلخانات مكانته بعد وفاته، وأصبح عددًا كبيرًا من الممالك الصغيرة التي يديرها المغول والأتراك والفرس⁽²⁾.

وفي عام 1336، أرسل توغون تيمور، آخر إمبراطور يوان في دادو، سفارة لدى البابا الفرنسي بنديكتوس الثاني عشر في أفينيون. كان يقود السفارة اثنين من مسافرين من جنوى في خدمة الإمبراطور المغولي، الذين حملوا رسائل توضح أن المغول قد مضى على ثماني سنوات (منذ وفاة رئيس الأساقفة جون مونتيكورفينو) بدون مرشد روحي، وكانوا يرغبون بجدية⁽³⁾. عين البابا بنديكتوس أربعة من رجال الدين كمندوبين له في بلاط الخان. في عام 1338م، أرسل البابا ما مجموعه 50 كنسيًا إلى بكين، من بينهم جون مارينولي، الذي عاد إلى أفينيون عام 1353م برسالة من إمبراطور اليوان إلى البابا إنوسنت السادس. لكن سرعان ما انتفض الصينيون الهان وطردوا المغول من الصين، وأسسوا سلالة مينغ عام 1368م. وبحلول عام 1369م، طردت أسرة مينغ جميع التأثيرات الأجنبية، من المغول إلى المسيحيين والمانويين والبوذيين.

(1) Jackson, Peter (2005). The Mongols and the West: 1221–1410. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman.

(2) Knobler, Adam (Fall 1996). "Pseudo-Conversions and Patchwork Pedigrees: The Christianization of Muslim Princes and the Diplomacy of Holy War". Journal of World History. Honolulu, Hawaii, USA: University of Hawaii Press. 7 (2): 181–197.

(3) Jackson, Peter (2005). The Mongols and the West: 1221–1410. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman.

في أوائل القرن الخامس عشر، استأنف تيمور (تيمورلنك) العلاقات مع أوروبا، في محاولة لتشكيل تحالف ضد المماليك المصريين والإمبراطورية العثمانية، ودخل في اتصالات مع شارل السادس ملك فرنسا وهنري الثالث ملك قشتالة، لكنه توفي عام 1405م.

في المجال الثقافي، كان هناك بعض العناصر المغولية في الفن الغربي في العصور الوسطى، وخاصة في إيطاليا، والتي تعود معظم الأمثلة الباقية منها إلى القرن الرابع عشر، بعد أن تلاشت فرصة التحالف العسكري. وشمل ذلك تصوير المنسوجات من الإمبراطورية المغولية والنص المغولي في سياقات مختلفة، والأخير غالبًا ما يكون عفا عليه الزمن. كان لواردات المنسوجات تأثير كبير على تصميم المنسوجات الإيطالي. يرتدي الجنود أحيانًا الزي العسكري المغولي، وعادةً ما يكون هؤلاء الذين يتصرفون ضد الشخصيات المسيحية، كما في مشاهد الاستشهاد أو الصلب. ربما تم نسخ هذه من رسومات مصنوعة من المبعوثين المغول إلى أوروبا، أو تلك التي تم إعادتها من الإمارات الصليبية.

فشل التحالف المسيحي المغولي

يصف معظم المؤرخين محاولات التحالف ما بين الإمبراطورية المغولية والمسيحيين الغربيين على أنها سلسلة من المحاولات والفرص الضائعة، والمفاوضات الفاشلة⁽¹⁾. ولخص كريستوفر أتود، في موسوعة منغوليا والإمبراطورية المغولية لعام 2004، العلاقات بين أوروبا الغربية والمغول: "على الرغم من كثرة المبعوثين والمنطق الواضح للتحالف ضد الأعداء المشتركين، لم تحقق البابوية والمغول التحالف المنشود ضد الدولة الإسلامية"⁽²⁾.

يجادل عدد قليل من المؤرخين الآخرين بوجود تحالف فعلي، لكنهم لا يتفقون على التفاصيل حيث كتب جين ريتشارد أن التحالف بدأ حوالي عام 1263م⁽³⁾. وذكر رؤوفين أميتاي أن أقرب شيء للتنسيق العسكري المغولي -المسيحي الفعلي كان عندما حاول الأمير إدوارد ملك إنجلترا تنسيق الأنشطة مع أباجا عام 1271م. كما ذكر أميتاي المحاولات الأخرى للتعاون، لكنه قال: هل يمكن أن نقول إن المغول والقوات المسيحية كانوا في البر الرئيسي السوري في نفس الوقت". ووصف تيموثي ماي التحالف بأنه بلغ ذروته في مجلس

(1) Jackson, Peter (2005). The Mongols and the West: 1221–1410. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman.

(2) Atwood, Christopher P. (2004). Encyclopedia of Mongolia and the Mongol Empire. New York, New York, USA: Facts on File, Inc. ISBN 978-0-8160-4671-3.

(3) Foltz, Richard C. (1999). Religions of the Silk Road: Overland Trade and Cultural Exchange from Antiquity to the Fifteenth Century. New York, New York, USA: St. Martin's Press.

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

ليون عام 1274م، لكنه بدأ في الانهيار في عام 1275م بوفاة بوهموند، واعترفت ماي أيضًا بأن القوات لم تشارك في عمليات مشتركة. قال آلان ديمرغر في كتابه *The Last Templar*، إن التحالف لم ينتهي حتى عام 1300م⁽¹⁾.

لا يزال هناك أيضًا نقاش حول ما إذا كان التحالف سيكون فكرة حكيمة أم لا، وما إذا كان المسيحيين في تلك المرحلة من التاريخ لهم صلة بالنزاع الفارسي المغولي. قال مؤرخ القرن العشرين، جلين برجر، "إن رفض الدول المسيحية اللاتينية في المنطقة أن تحذو حذو هيثوم والتكيف مع الظروف المتغيرة من خلال التحالف مع إمبراطورية المغول الجديدة يجب أن ينظر له كواحد من أتعس إخفاقات أوتيريمر"⁽²⁾. ورأيه هذا مشابهًا لوجهة نظر ستيفن رونسيمان، الذي قال، "لو تم تحقيق التحالف المغولي وتنفيذه بأمانة من قبل الغرب، لكان من المؤكد تقريبًا أن وجود الإمارات الصليبية كان سيطول أمده ولم يتم تدميرها؛ وكان من الممكن أن يعيش الخانات في بلاد فارس كقوة صديقة للمسيحيين والغرب"⁽³⁾. ومع ذلك، قال ديفيد نيكول، واصفًا المغول بأنهم "حلفاء محتلمون"، إن المؤرخين الأوائل كانوا يكتبون من الاستفادة من الإدراك المتأخر، وأن اللاعبين الرئيسيين عمومًا هم المماليك والمغول، مع المسيحيين فقط "بيادق" في لعبة أكبر"⁽⁴⁾.

وقد كان هناك الكثير من النقاش بين المؤرخين حول سبب عدم تحول التحالف الفرنسي المنغولي إلى حقيقة، ولماذا، على الرغم من جميع الاتصالات الدبلوماسية، ظل هذا التحالف وهمًا أو خيالًا. ويتفق الباحث مع الاقتراحات التي قدمها بعض المؤرخون في هذا الجانب حول أسباب عدم نجاح التحالف الفرنسي (المسيحي)-المنغولي: كان أحدها أن المغول في تلك المرحلة من إمبراطوريتهم لم يركزوا بالكامل على التوسع إلى الغرب. بحلول أواخر القرن الثالث عشر، كان قادة المغول قد أبعثوا عدة أجيال من جنكيز خان العظيم، وكان الاضطراب الداخلي في طور التكون. أصبح المغول البدو الأصليين من يوم جنكيز أكثر استقرارًا، وتحولوا إلى إداريين بدلاً من الفاتحين. كانت المعارك تتدلع والتي كانت ضد

(1) Demurger, Alain (2006). *Croisades et Croisés au Moyen Age* (in French). Paris, France: Flammarion.

(2) Burger, Glenn (1988). *A Lytell Cronycle: Richard Pynson's Translation (c. 1520) of La Fleur des histoires de la terre d'Orient* (Hetoum c. 1307). Toronto, Canada: University of Toronto Press.

(3) Runciman, Steven (1987) [1954]. *A History of the Crusades, Volume III: The Kingdom of Acre and the Later Crusades*. Harmondsworth, UK: Penguin Books.

(4) Nicolle, David (2001). *The Crusades. Essential Histories*. Oxford, UK: Osprey Publishing.

المغول، والتي أخذت القوات بعيدًا عن الجبهة في سوريا. كان هناك أيضًا ارتباك داخل أوروبا فيما يتعلق بالاختلافات بين مغول الإيلخانات في الأرض المقدسة، ومغول القبيلة الذهبية، الذين كانوا يهاجمون المجر وبولندا. أما في داخل الإمبراطورية المغولية، اعتبر الإلخانيون والقبيلة الذهبية بعضهم البعض أعداء، لكن الأمر استغرق وقتًا حتى يتمكن المراقبون الغربيون من التمييز بين الأجزاء المختلفة من الإمبراطورية المغولية. من جانب المغول، كانت هناك أيضًا مخاوف بشأن مقدار النفوذ الذي يمكن أن يجلبه الفرنجة، خاصة وأن هناك اهتمامًا أقل في أوروبا بمتابعة الحروب الصليبية. ولم يذكر مؤرخو البلاط في بلاد فارس المغولية أي ذكر للاتصالات بين الإلخانات المغول والغرب المسيحي، وبالكاك ذكروا الفرنجة على الإطلاق. من الواضح أن المغول لم ينظروا إلى الاتصالات على أنها مهمة، بل وربما كانت تعتبر محرجة. ربما لم يرغب الزعيم المغولي غازان، وهو مسلم اعتنق الإسلام منذ عام 1295م، في أن يُنظر إليه على أنه يحاول الحصول على مساعدة الكفار ضد إخوانه المسلمين في مصر. عندما قام المؤرخون المغول بتدوين ملاحظات عن مناطق أجنبية، كانت المناطق تُصنف عادةً إما على أنها "أعداء" أو "محتلة" أو "متمردة". تم إدراج الفرنجة، في هذا السياق، في نفس فئة المصريين، من حيث أنهم كانوا أعداء يجب غزؤهم. كانت فكرة "الحليف" غريبة على المغول.

استجاب بعض الملوك الأوروبيين بشكل إيجابي لاستفسارات المغول، لكنهم أصبحوا غامضين ومراوغين عندما طُلب منهم بالفعل إرسال قوات وموارد. كما أصبحت اللوجستيات أكثر تعقيدًا - كان المماليك المصريون قلقين حقًا من تهديد موجة أخرى من القوات الصليبية، لذلك في كل مرة استولى فيها المماليك على قلعة أو ميناء آخر، بدلاً من احتلالها، قاموا بتدميرها بشكل منهجي بحيث لا يمكن استخدامها مرة أخرى. وجعل هذا الأمر من الصعب على الصليبيين التخطيط للعمليات العسكرية، وزاد من تكلفة تلك العمليات. غالبًا ما كان الملوك في أوروبا الغربية يتشددون بفكرة شن حملة صليبية، كطريقة لجذب رعاياهم عاطفيًا، لكنهم في الواقع سيستغرقون سنوات للاستعداد، وأحيانًا لم يتحركوا فعليًا. كانت الحروب الداخلية في أوروبا، مثل حرب صلاة الغروب، تشتت الانتباه أيضًا، وتقلل من احتمالية رغبة النبلاء الأوروبيين في الالتزام بجيشهم في الحروب الصليبية، عندما تكون هناك حاجة ماسة إليهم في الوطن⁽¹⁾.

(1) Jackson, Peter (2005). The Mongols and the West: 1221-1410. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

كما كان الأوروبيون قلقين أيضًا بشأن الأهداف طويلة المدى للمغول. ولم تكن الدبلوماسية المغولية المبكرة عرضًا بسيطًا للتعاون، ولكنها كانت مطالب مباشرة للاستسلام. ولم يبدأ الدبلوماسيون المغول في تبني نبرة أكثر تصالحية إلا في الاتصالات اللاحقة؛ لكنهم ما زالوا يستخدمون لغة تنطوي على أوامر أكثر من التوسل. حتى المؤرخ الأرميني هايتون من كوريكوس، المدافع الأكثر حماسة عن التعاون الغربي المغولي، اعترف بحرية أن القيادة المغولية لم تكن تميل إلى الاستماع إلى النصائح الأوروبية. كانت توصيته أنه حتى لو عملت معًا، يجب على الجيوش الأوروبية والجيوش المغولية تجنب الاتصال بسبب غطسة المغول. كان القادة الأوروبيون يدركون أن المغول لن يكونوا راضين بالتوقف عند الأرض المقدسة، لكنهم كانوا في سعي واضح للسيطرة على العالم. إذا كان المغول قد حققوا تحالفًا ناجحًا مع الغرب ودمروا سلطنة المماليك، لكانوا بالتأكيد قد انقلبوا في النهاية على الفرنجة القبرصية والبيزنطيين. كما كانوا سيحتلون مصر بالتأكيد، والتي كان بإمكانهم من خلالها مواصلة التقدم نحو إفريقيا، حيث لم يكن بوسع دولة قوية أن تقف في طريقهم حتى المغرب والخلافة الإسلامية في المغرب العربي.

الخاتمة

إن غزو المغول للعالم الإسلامي لم يكن أمرًا مفاجئًا وطفرة بدون مقدمات، لأن جيوش المغول كانت قبل ذلك قد هزمت وقضت على دول كثيرة مثل الصين والدولة الخوارزمية المسلمة وسيطرت على خراسان ودول كثيرة دون أن تنتبه دولة الخلافة لذلك لتعد العدة وتجهش الجيوش لمواجهة هذا الوحش القادم.

وعلى ما يبدو أن المغول أرادوا استغلال حالة الضعف والوهن الذي كانت تعيشه المنطقة الإسلامية، وهاجموا بغداد قبل سقوطها في أيديهم وكانت المرة الأولى في عام

635هـ. وقد باءت هذه المحاولة بالفشل وهزموا، إلا أن المغول لم يستسلموا بل زادوا أكثر من عزيمتهم للاستيلاء على دولة الخلافة وإسقاط بغداد، لذا حاول المغول بشتى الطرق لإسقاط بغداد وتم عمل تحالف مع المسيحيين إلا إنه كان خجولاً ولم يؤتي ثماره، ولكنه أضر بالدولة العباسية فقط عندما تعاونوا في إسقاط بغداد والتي انتهى بسقوطها العصر الذهبي الإسلامي وأصبحت الخلافت الإسلامية تتراجع بعدها حتى سقوط الدولة العباسية.

ومن أسباب سقوط الخلافة العباسية التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذا

البحث وهي:

- 1- الوهن الذي انتاب الدولة بسبب انتزاع الثقة منها وزوال هيبتها من القلوب وجنوح الأمة إلى الثورات.
- 2- غياب القيادة الحكيمة والراشدة.
- 3- إهمال العباسيين لفريضة الجهاد ونصرة المظلومين.
- 4- عدم الإنفاق على الجيش مما أثر على ضعفه.
- 5- الانقسامات التي فشت في الأمة وسرت إلى الجنود دون نظر إلى العواقب الوخيمة التي جرت إلى قلب الدولة وانحلال العصبية.
- 6- الاستبداد وإيثار حب السلطة والدنيا على المصالح العامة.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، دار التراث العربي، بيروت، 1996م.
2. الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.
3. عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي، الحملات الصليبية والحملات المغولية أهداف مسيحية وغايات تنصيرية، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، العدد 90، المجلد 1، جامعة المنيا، 2020م.

أثر تحالف المغول والمسيحيين على الدولة الإسلامية

4. كاظم أمير زادة قاسمي، الصراع المملوكي الإيلخاني على بلاد الشام 654هـ - 735هـ / 1255 - 1335م، رسالة دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 1438هـ - 2017م.
5. رجب محمود إبراهيم بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1431هـ - 2010م.
6. إيناس حسني البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2017م.
7. علي محمد محمد الصلابي، السلطان سيف الدين قطز، ومعركة عين جالوت، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 1430هـ - 2009م.
8. سعاد هادي حسن الطائفي وآخرون، صفحات من تاريخ المغول، ط2، عدنان للطباعة والنشر، بغداد، العراق، 2019م.
9. محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة حملة جان دي برين على مصر 615 - 618هـ / 1218 - 1221، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ - 1985م.
10. سعاد هادي حسن، دراسات في تاريخ الترك والمغول، ط1، عدنان للطباعة والنشر، العراق، 2015م.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

11. Atwood, Christopher P. (2004). Encyclopedia of Mongolia and the Mongol Empire. New York, New York, USA: Facts on File, Inc. ISBN 978-0-8160-4671-3.
12. Burger, Glenn (1988). A Lytell Cronycle: Richard Pynson's Translation (c. 1520) of La Fleur des histoires de la terre d'Orient (Hetoum c. 1307). Toronto, Canada: University of Toronto Press.
13. Calmard, Jean. "Encyclopædia Iranica". Costa Mesa, California, USA: Mazda Publishers.
14. Daftary, Farhad (1992). The Isma'ilis: Their History and Doctrines. Cambridge University Press. pp. 418-420.

15. Daftary, Farhad (1994). *The Assassin Legends: Myths of the Isma'ilis*. London, UK; New York, New York, USA.
16. Demurger, Alain (2006). *Croisades et Croisés au Moyen Age* (in French). Paris, France: Flammarion.
17. Edbury, P. W. (1991). *The Kingdom of Cyprus and the Crusades, 1191-1374*. Cambridge University Press.
18. Folda, Jaroslav (2005). *Crusader art in the Holy Land: from the Third Crusade to the fall of Acre*. Cambridge, UK: Cambridge University Press.
19. Foltz, Richard C. (1999). *Religions of the Silk Road: Overland Trade and Cultural Exchange from Antiquity to the Fifteenth Century*. New York, New York, USA: St. Martin's Press.
20. Grousset, René (1936). *Histoire des Croisades III, 1188–1291 L'anarchie franque* (in French). Paris, France: Perrin.
21. Hindley, Geoffrey (2004). *The Crusades: Islam and Christianity in the Struggle for World Supremacy*. New York, New York, USA: Carroll & Graf Publishers.
22. Jackson, P. (2018). *The Mongols and the West: 1221-1410*. Routledge.
23. Jackson, Peter (2005). *The Mongols and the West: 1221–1410*. Harlow, UK; New York, New York, USA: Longman.
24. Jackson, Peter (July 1980). "The Crisis in the Holy Land in 1260". *The English Historical Review*. London, UK; New York, New York, USA: Oxford University Press. 95 (376): 481–513.
25. Jackson, Peter (July 1980). "The Crisis in the Holy Land in 1260". *The English Historical Review*. London, UK; New York, New York, USA: Oxford University Press. 95 (376): 481–513.
26. Joseph, John (1983). *Muslim-Christian Relations and Inter-Christian Rivalries in the Middle East: The Case of the Jacobites in an Age of Transition*. Albany, New York, USA: SUNY Press.
27. Knobler, Adam (Fall 1996). "Pseudo-Conversions and Patchwork Pedigrees: The Christianization of Muslim Princes

- and the Diplomacy of Holy War". *Journal of World History*. Honolulu, Hawaii, USA: University of Hawaii Press. 7 (2): 181–197.
28. Lane, George (2006). *Daily Life in the Mongol Empire*. Westport, Connecticut, USA: Greenwood Press.
29. Morgan, D. O. (1989). The Mongols and the eastern Mediterranean. *Mediterranean Historical Review*, 4(1), 198-211.
30. Morgan, David (2007). *The Mongols* (2nd ed.). Malden, Massachusetts, USA; Oxford, UK; Carlton, Victoria, AU: Blackwell Publishing.
31. Morgan, David (June 1989). "The Mongols and the Eastern Mediterranean: Latins and Greeks in the Eastern Mediterranean after 1204.
32. Nersessian, Sirarpie Der (1969). "The Kingdom of Cilician Armenia". In Hazard, Harry W.; Wolff, Robert Lee (eds.). *A History of the Crusades: The Later Crusades, 1189–1311*. 2. Madison, Wisconsin, USA: University of Wisconsin Press. pp. 630–660.
33. Nicolle, David (2001). *The Crusades. Essential Histories*. Oxford, UK: Osprey Publishing.
34. Richard, Jean (1969). "The Mongols and the Franks". *Journal of Asian History*. 3 (1): 45–57.
35. Richard, Jean (1999) [published in French 1996]. *The Crusades, c. 1071–c. 1291*. trans. Birrell, Jean. Cambridge, UK: Cambridge University Press. ISBN 978-0-521-62566-1.
36. Riley-Smith, Jonathan (2005). *Crusades: A History* (2nd ed.). London, UK; New York, New York, USA: Continuum International Publishing Group.
37. Runciman, Steven (1987) [1954]. *A History of the Crusades, Volume III: The Kingdom of Acre and the Later Crusades*. Harmondsworth, UK: Penguin Books.
38. Ryan, James D. (November 1998). "Christian Wives of Mongol Khans: Tartar Queens and Missionary Expectations in Asia". *Journal of the Royal Asiatic Society*. Cambridge, UK; New

-
- York, New York, USA: Cambridge University Press. 8 (3): 411–421.
39. Saunders, J. J. (2001). The history of the Mongol conquests. University of Pennsylvania press.
 40. Sinor, Denis (1975). "The Mongols and Western Europe". In Setton, Kenneth Meyer; Hazard, Harry W. (eds.). A History of the Crusades: The Fourteenth and Fifteenth Centuries. 3. Madison, Wisconsin, USA: University of Wisconsin Press. p. 513.
 41. Tyerman, Christopher (2006). God's War: A New History of the Crusades. Cambridge, Massachusetts, USA: Harvard University Press.
 42. Vaughn, M. K., & Tyerman, C. (2007). God's War: A New History of the Crusades. Naval War College Review, 60(2), 17.
 43. Waghmar, B. (2000). Review of Richard Foltz, Religions of the Silk Road: Overland Trade and Cultural Exchange from Antiquity to the Fifteenth Century (London and New York, 1999). CIAA Newsletter, (11), 37-39.
 44. Wing, P. (2007). The Decline of the Ilkhanate and the Mamluk Sultanate's Eastern Frontier. Mamluk Studies Review, 11(2), 77-88.